و للروح ارتواء

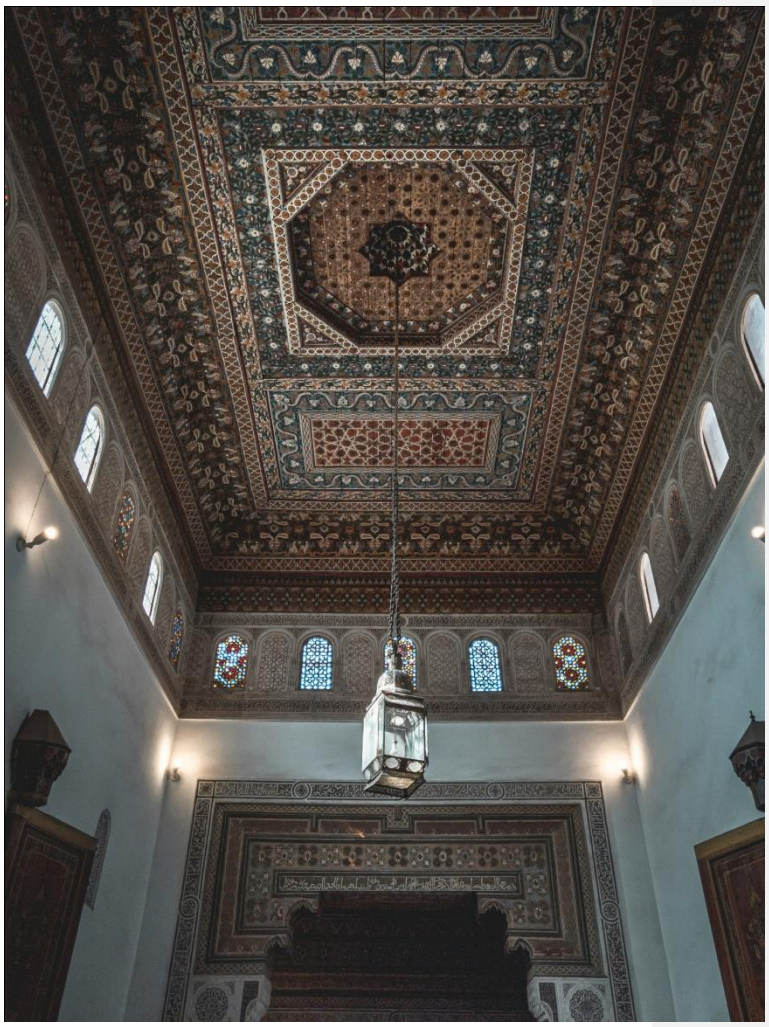

تفريغ محاضرة

فاللهُ خَيرٌ حافِظًا

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤١/٩/١١هـ

بسمِ اللهِ الرّحمن الرّحيم

(فاللهُ خَيرٌ حافِظًا)

إنّ الحمدلله نحمده، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له. وأشهد أنْ لا إله إلّا الله، وأنّ محمدًا رسول الله.

أمّا بعد:

ستتوقّف في هذه المحاضَرة بعضَ الوقفَات مع سورةٍ عظيمةٍ من سورِ القرآنِ العظيم، سورةٌ وصفها بعض المفسّرين بأنها **(سورةُ الحفظ)**نظرًا لما وَرَدَ فيها من بشاراتٍ كثيرةٍ لحفظِ الله عزّ وجلّ عبادَه، وهي سورةٌ قصيرةٌ من تسعٍ وتسعين آيةٍ، إنّها سورة (**الحِجْر**).

سُمّيتْ سورة **(الحِجْر)**؛ نسبةً إلى وادي الحِجر في ديار ثمود، المعروفين بقوّتهم البدنيّة، حيث كانوا يتّخذون من الأرض سهولًا، وينحِتون الجبالَ بيوتًا، وكانوا يظنّون أنّها تحميهم وتحفظُهم، لكنّهم لم يعلموا أنّه لا حافظَ من أمرِ الله عزّوجلّ إلّا بإذنه، وقد أهلكهم الله بصيحةٍ واحدةٍ، فمجرّد ذبذبات دخلتْ أذانهم أردتهم موتى.

- **<u>بعضُ الوقفَات مَعَ حِفظِ الله عزّ وجلّ:</u>**

1. **<u>حِفظُ اللهِ تعالى للقرآنِ الكريم:</u>**

قال تعالى:﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذࣰا مُّنظَرِينَ (٨) إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾(الحِجر:7- 8).

فمنذ أكثرَ من(1400) سنةٍ، منذ نزول القرآن الكريم على النّبي -عليه الصّلاة والسّلام- في غار حراء إلى يومنا هذا والقرآن محفوظٌ لم يتغيّر منه حرفٌ، ولم يتغيّر منه شكلٌ، رغمَ كيدِ الكائدين ومكرِ الماكرين، ورغم كلّ المحاولات من جميع الأديان، لكنّها كلّها باءت بالفشل.

2. **حِفظُ اللهِ تعالى للسّمواتِ والأرض:**

وعندما تمضي في آيات سورةِ الحِجرِ الكريمة؛ تجدْأنّ الله تبارك وتعالى يتكلّمُ عن السّماء وعن الأرض، وأنّه حَفِظَ هذه السّماء، قال تعالى:﴿وَلَقَد جَعَلنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ (١٦) وَحَفِظنَٰهَا مِن كُلِّ شَيطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾(الحِجر: 16-17).

فالسّماء التي تُظِلّك والأرض التي تُقلّك محفوظةٌ بحفظ الله عزّ وجلّ، ولو شاء الله عزّ وجلّ أن تقعَ لوقعت، ولذلك لا أحدَ يمسك السّماء أن تقعَ على الأرض إلّا الله تعالى، فتخيّلْ أنّ اللهَ يحفظ السّموات التي نظنُّ أنّها مجموعةٌ من الأبخرة، وإنّنا لم نؤتَ من العلم إلّا قليلًا، فالسّموات لها سماكةٌ ولها أبواب، قال تعالى : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ **(الجِن: 8-9).**

حدّثنا رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم- عن ذلك فيما جاء من حديث الإسراء والمعراج، بأنّ لها أبوابًا وأنّها أُغلقت دون الشّياطين، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **"فانطلقَ بي جبريلُ حتّى أتى السّماءَ الدّنيا فاستفتحَ، فقيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمّد، قيل: وقد أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعمَ المجيءُ جاءَ ففتح... "**[1].

3. **حِفظُ اللهِ تعالى للأرزاق، وتقديرُها بعلمٍ وحكمة:**

ثُمّ تمضي بك الآيات في هذه السّورة العظيمة، فتجد أنّ الله عزّ وجلّ يقول:﴿وَإِن مِّن شَيءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعلُومٍ﴾ **(الحِجر:21).**

فخزائن الله تعالى ملأى، إلّا أنّه يَقسِمُ منها لكلِّ عبدٍ بعلمه وحكمته تبارك وتعالى ما يشاء، ومهما أنهكَ الإنسانُ نفسه بالجري وراء رزقِه فلن يُحصّل إلّا ما كتبه الله له، ومن كسبَ رزقًا واسعًا فلا يظنَّنَّ أنّه كسبه بقوّته ومهارته، كما يجب ألّا تتواكلَ على الله تعالى، فلا ينبغي لك أن تجلسَ وتنتظرَ أن تمطرَ السّماء عليك ذهبًا، فعليك الأخذَ

1 أخرجه البخاري في صحيحه.

بالأسباب وجوبًا ثمّ التّوكّلَ على الله تعالى وحده لا سواه، لأنّه هو مقدّر الأسبابِ وحافظُ الأرزاق. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **"أيّها النّاس، إنّه ليس من شيءٍ يقرّبكم من الجنّةِ ويبعدُكم من النّار إلّا قد أمرتُكم به , وليس شيءٌ يقرّبكم من النّار ويبعدُكم من الجنّة إلّا قد نهيتكم عنه، وإنّ الرّوحَ الأمينَ نفثَ في رَوعي أنّه ليسَ من نفسٍ تموتُ حتّى تستوفيَ رزقَها , فاتقُوا اللهَ وأجملوا في الطّلب، ولا يحملْكمُ استبطاءُ الرّزقِ على أن تطلبوه بمعصيةِ الله، فإنّه لا يُنال ما عندَه إلّا بطاعته"**[2].

فإذا كان لك رزقٌ من هذه الدّنيا فلن تموتَ حتّى تستوفيَه، فلا تُهلكْ نفسَك في الدّنيا، واسعَ -كما أُمِرتَ- وتوكّلْ على العزيز الرّحيم.

4. حِفظُ اللهِ تعالى لعبادِه المُخلَصين من الشّيطان الرّجيم:

ثُمّ تمضي بك الآيات، فتجدُ اللهَ تعالى يذكر قصّة إبليسَ وآدم عليه السّلام، يقول عزّ وجلّ:﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾

(الحِجر: 32-33).

فتحُقُّ لعنةُ الله على الشّيطان الرّجيم، فيطلب طلبَه قائلًا: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ(٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ(٣٧) إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ(٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ(٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ(٤٠) قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾ (الحِجر: 36-41).

فالشّيطان رفضَ السّجودَ لآدمَ والامتثال لأمرِ الله عزّ وجلّ، فطردَه الله تعالى من رحمتِه، فظنّ أنّ آدم هو السّبب في ذلك، فأرادَ أن يغوي آدمَ وكلَّ بنيه الذين لم يُخلَقوا بعد، لكنّ الله تبارك وتعالى لن يسمحَ له بالاقترابِ من العبادِ المخلِصين عبادتَهم لله، فتأمّلْ حفظَ اللهِ العظيمِ لهم، إذ يقول جلّ جلاله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ (الحِجر: 42).

واستثنى الله -سبحانَه وتعالى- من بني آدم الفئةَ التي ستتّبعُ الشّيطانَ وتعصي الله، وهذا قرارُ الإنسان الشّخصي، لكنّك ما دمتَ عبدًا طائعًا صادقًا فلا يمكن أنْ يتركَك الله عزّ وجلّ له.

2 أخرجه ابن ابي شيبة في المصنّف، وقال الألباني: حسنٌ صحيح.

5. حِفظُ اللهِ تعالى للمؤمنينَ في الدّنيا، وفي الآخرة:

إنّ حِفظ الله العظيم يرافقُ المؤمنين إلى لحظةِ دخولهم الجنة، فيقول الله عزّ وجلّ: ﴿ادخُلُوهَا بِسَلٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ (الحِجر: 46)،فاللهُ يحفظ عبادَه في الدّنيا وفي الآخرة، ويدخلهم جنّته آمنين.

يقول الله عزّ وجلّ في الحديث القدسيّ: "وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[3]،ولذلك لن يجمعَ الله عليك خوفين، فبعض النّاس -مثلًا- يخاف أن يأكلَ مالَ غيره، أو ينالَ من عرضِ غيره... فهؤلاء لن يضيّعَ الله تعالى لهم مشاعرَ خوفهم التي تردعُهم عن غضبِه عزّ وجلّ، فهذا ليس وسوسةً، ولا ورعًا زائدًا، إنّما هؤلاء أناسٌ يتحسّسون خطواتِهم لأنهم يعلمون ما ينتظرهم في الآخرة، بخلافِ الآمن في الدّنيا، الذي يرتكبُ الذّنوب ويبرّر لنفسه معاصيه بتواكله على الله تعالى، ويخدع نفسَه بقوله لها:**"إنّ اللهَ غفورٌ رحيم..."**.

فهذه الآيات تجعل في قلبك نوعًا من الأمن تِجاه هذه المفاهيم الخاطئة.

6. حِفظُ اللهِ تعالى لعبادِه، وتكفّلُهم بسلامٍ:

إنّ وسائلَ الأمان تبقى وسائلَ، قد تنفعك بإرادةِ الله تعالى، وقد لا تنفعك -أيضًا- بإرادةِ الله تعالى، فإذا شعرتَ أنّ حياتك أو حياةَ من تحبُّ أو صحتّك أو أموالك... في خطر؛ فاعلم أنّك بحاجةٍ إلى أنْ تثقَ باسم الله**"الحفيظ"**.

يقول الشّيخ السّعدي -رحمه الله- في اسم الله **(الحفيظ): "هو الذي حفظَ ما خلقَ، وأحاطَ علمُه بما أوجدَه، وحفظَ أولياءَه من وقوعِهم في الذّنوب والهَلَكات".**

يا له من تعريفٍ!

فحفظُ الله تعالى للعبد لا يقتصرُ فقط على حمايتِه من الأذى، وإنّما يحفظهم من وقوعهم في الذّنوب والمهلكات، ويلطفُ بهم في حركاتهم وسكناتهم.

3 أخرجه ابن المبارك في الزّهد والرّقائق، وحسّنه الألباني.

7. **حفظُ الله تعالى كلَّ مخلوقاته، وعباده المؤمنين والكفّار:**

ويتمثّلُ حفظُ اللهِ عباده بنوعين:

الأوّل: حِفْظُ الله تعالى عبادَه بكلِّ ما عملوه: فكلُّ ما يعمله العبد موجودٌ في الكتاب المحفوظ، من خيرٍ وشرٍّ، وطاعةٍ ومعصيةٍ، وأوكلَ الله بعباده ملائكةً لا يغفلون عن شاردةٍ ولا واردةٍ، في سرّك وعلنك، وعلى يمينك وشمالك، لا يغادرونَك أبدًا، ويتعاقبون عليك، ويسجّلون كلَّ أعمالك؛ يقول عزّ وجلّ: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ (المُجادِلة: 6).

وعن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه، عن النّبي صلى الله عليه وسلم، في الحديث القدسيّ الذي رواه عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: "يا عبادي، إنّي حرّمتُ الظّلمَ على نفسي، وجعلتُه بينكم محرمًا، فلا تظالموا، يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلّا من هديته، فاستهدوني أهدِكم، يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلّا من أطعمتُه، فاستطعموني أطعمْكم، يا عبادي كلُّكم عارٍ إلّا من كسوته، فاستكسوني أكسِكم، يا عبادي إنّكم تخطئونَ باللّيل والنّهار، وأنا أغفرُ الذّنوب جميعًا، فاستغفروني أغفرْ لكم، يا عبادي إنّكم لن تبلغوا ضَرّي فتضرّوني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أنّ أوّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخرَكم وإنسَكم وجنّكم كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ، ما نَقَصَ ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أنّ أوّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَه، ما نَقَصَ ذلك ممّا عندي إلّا كما ينقصُ المخيطُ إذا أُدخلَ البحرَ، يا عبادي إنّما هي أعمالُكم أحصيها لكم، ثمّ أوفّيكم إيّاها، فمن وجدَ خيرًا، فليحمدِ اللهَ ومن وجدَ غيرَ ذلك، فلا يلومنَّ إلّا نفسَه"[4].

الثّاني: حِفظُ الله تعالى عبادَه من جميع ما يكرهون: فيحفظك اللهُ عزّ وجلّ من كلِّ ما تكره من شرورٍ، أو ابتلاءاتٍ، فيك أو في ذريّتك أو من تحب... **وهو نوعان:**

1- **عامٌّ:** يشترك في هذا النّوع المسلمُ والكافر، والبَرُّ والفاجر، ويشتركُ فيه الإنسان والحيوان، فحتّى الحيوانات لم يتركها الله تعالى تائهةً لا تعلم ماذا تفعل.

4 أخرجه مسلم في صحيحه.

2- **خاصٌّ**: وهو الحفظُ الذي يذوبُ له القلب، حيث يشمَل حفظُ الله تعالى لأوليائه كلّما يضرّهم في دينهم ودنياهم، فيحفظهم ممّا يهدّد إيمانَهم ويزلزل يقينَهم من شبهاتٍأو شهوات، وأمرٌ عظيمٌ أن يتكفّل بك الله عز وجل ويعصمَك من الوقوع في الشّبهات.

8. حِفظُ الله تعالى لعبادِه الصّالحين من كلّ مكان:

قال الله سبحانه وتعالى:﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ...﴾ (الرّعد: 11).

فحفظُ الله لعبده يكون من كلّ الجهات: من بين يديه، ومن خلفه، وفي آيات أخرى: عن يمينه، وعن شماله، ومن فوقه، ومن تحته، قال ابن عباس رضي الله عنه:"**هم الملائكة يحفظونه من أمر الله**"، وللعِلم: حرف الجر السّابق **(من)** بمعنى (الباء) هنا؛ أيّ: يحفظونه بأمر الله عزوجل، ولذلك كان دعاء النبي -عليه الصّلاة والسّلام- في أذكار الصّباح والمساء:"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَأَهْلِي، وَاسْتُرْ عَوْرَتِي، وَآمِنْ رَوْعَتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنَ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ يَسَارِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي"[5].

و**(أُغتال من تحتي)** أي: أن يُخسَف بي، فلاحظْ كلمةَ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وهو يدعو ربّه: **"واحفظني من بين يدي ومن خلفي"**؛ فربّما يتبادرُ إلى ذهنك أنّ الحفظَ يكون من لدغةِ عقربٍ أو أفعى، أو عينٍ أو سحرٍ، أو مرضٍ... إلّا أنَّ حفظَ الله تعالى أشملُ وأوسعُ من ذلك، فهو يحفظ لأوليائِه دينَهم.

فانظر إلى **الإمام الطّبري** -رحمه الله- وقد جاوز مئة سنةٍ وقد متّعه الله تعالى بقوّته وعقله، على الرغمِ من أنّه قفزَ ذاتَ مرّةٍ قفزةً من السّفينة إلى الشّاطئِ وهو بذلك العمر، فعُوتب على ذلك، فتبسّم الطّبري قائلًا:**"هذه جوارحُ حفظناها في الصّغر فحفظَها الله لنا في الكبر"**، فلنتعلّمْ من كيفيّةَ تعاملِ السّلف مع حفظ الله عزّ وجلّ باليقين التامّ.

وعلى عكس ما سبق؛ فإنّ بعضَ السّلف رأَوا شيخًا طاعنًا في السّن وقد احدودبَ ظهرُه، وابيضَّ شعرُه، فقالوا: **"هذا ضيّعَ اللهَ في صغره فضيّعَه اللهُ في كبره"**.لكنْ ليس ذلك بالضّرورة، فقد يتعرّض الإنسان للابتلاءات تكفيرًا لسيئاتِه أو رفعًا لدرجاته.

5أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصحّحه الالباني.

9. حِفظُ الله تعالى عبادَه في دينِهم ودنياهم:

فبعضُ هذا الحفظِ ليتوالى للإنسان سواءٌ في نفسِه أو في ذريّته، وبهذا تتبلورُ فائدةُ الصّلاح؛ فاللهُ يحفظُك ويحفظُ لك بصلاحك، ونستذكرُ -في هذا المقام-في سورةِ الكهف ما قاله الخِضر لموسى -عليهما السّلام-لمّا أرادوا بناء الجدار، **قال تعالى:** ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ **(الكهف: 82)**.

فالله تعالى سخّر لهما نبيًّا؛ لصلاحِ أبيهما وسخّر الخضرَ معه ليذهبوا إلى القرية فيبنوه لولدَيه، فحفظَ الله تعالى لهما مالَهما بحفظِ أبيهما الصّالح.

قيلَ للخليفةُ الأمويُّ الزّاهد **عمرَ بنُ عبد العزيز** الملقّبُب**(خامس الخلفاء الرّاشدين) عندما حضرَه الموت**: **"هؤلاء أبناؤُك -وكانوا ستةَ ذكورٍ وستُّ إناثٍ- ألَا توصي لهم بشيءٍ وهم فقراءُ، وعندك كلُّ أموال بني أميّة؟ فقال عمر: "لهمُ الله الذي نزّل الكتاب، وهو يتولى الصّالحين، واللهِ لا أعطيهم حقَّ أحدٍ وهم بين رجلَين، ما كنتُ لأدخلَ النّار على أن أعطيكم شيئًا من هذا المال فانصرفوا عصمَكم الله وأحسنَ الخلافةَ عليكم"**، يقصد: **بين رجلين إمّا صالحٌ فالله يتولاه، وإمّا فاسقٌ فلا أعينه على فسوقه.**

فالله عزّ وجلّ يحفظ أبناءَك من بعدك إذا وكّلتهم له، ولذلك قال السّلف:**"من اتّقى اللهَ فقد حفظَ نفسَه، ومن ضيّعَه فقد ضيّعَ نفسَه".**

10. حِفظُ الله تعالى يُريح قلبك، ويُجنّبك الوقوع في المعاصي:

إنّ حِفظَ الله تعالى لا يقف عند الذي ذكرناه سابقًا فقط؛ وإنّما يمتدّ لأوسعَ من ذلك كما قال أحدُ السّلف:**"لاتقلْ أذنبتُ، وإنّما قلْ أعرضَ عنّي الحافظ"**، والمقصود: إنّ امتناعَك عن فعل ذنبٍ ما، أو إقلاعَك عن ذنبٍ كنت تدوام عليه، وإحساسَك بالسّكينة تجاه هذا الإقلاع أو ذلك الامتناع هو ليس قرارك الشّخصيّ، ولكنّ الله حفظك بحفظه.

أمّا إذا شعرت أنّ نفسك تنازعك وتحضك على المعصية والذّنب فاعلمْ أنّ الله الحافظ أعرض عنك، لسببٍ ما أو لتقصيرٍ منك، ولذلك فإنّ من الضّرورة بمكانٍ أن تراجعَ نفسَك وتبحثَ عمّا يُعثّرك.

ابن الجوزي -رحمه الله- في كتابه**(صيدُ الخاطر)** كان يقول: **"رأيتُ النّاس كلّما عثروا في شيء التفتوا إليه، فينظرون ما الذي عثّرهم، فيا ليتنا كنّا نفعل حينما كان نتعثّر بحضوض الشّيطان"**، ولذلك عندما تتعثّر في طريقك لله عزّ وجلّ، وتجدُ نفسَك قد غرقت في ذنبٍ، فإيّاكَ أنْ تستسلمَ له وللشّيطان، ولكن ابحثْ عمّا جعلك تتعثّر وأصلِحْهُ.

11.<u>حِفظُ الله تعالى حمايةٌ لك:</u>

عن قتادة بن النّعمان، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: **"إذا أحبّ الله عبدًا حماه الدّنيا كما يظلُّ أحدُكم يحمي سقيمَه الماء"**[6].

فتخيل أنَّ عندك مريضًا، وهذا المريض ممنوعٌ من شرب الماء لأنّه يضرُّه، فبالتّأكيد ستحرصُ كلّ الحرص على عدم إعطائه الماء، فالله تعالى يحفظك، ويحميك فلا يعطيك الدّنيا، فلا تظنَّ أنّ كلَّ من أُعطي الدّنيا محبوبٌ عند الله تعالى، لأنّ الله عزّ وجلّ يعطي الدّنيا من يحبُّ ومن لا يحبّ، ولكنّه لا يعطي الدّين إلّا من يحبّه، ففتحُ أبوابِ الدّنيا عليك قد يفسدك، لأنّ العطاءات المتكرّرة أحيانًا ما تكون استدراجًا وابتلاءً للإنسان، ومصداقُ ذلك قول الله عزّ وجلّ عن الكافرين: **﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحنَا عَلَيهِم أَبوَٰبَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذنَٰهُم بَغتَة فَإِذَا هُم مُّبلِسُونَ﴾ (الأنعام: 44).**

12.<u>حِفظُ اللهِ تعالى يشمَلُ حفظكَ من شرِّ النّاس:</u>

فيمنعك أن تلتقي بهم، لأنّ اللهَ يعلم أنّ ثمّةَ انجذابٌ منك تجاههم، فمجردُ أن تلتقي بهم تندفعْ إلى ما هم عليه، وتنزلق خلفهم فتضيع، ويضيع معك عملك الصّالح، فمن حفظِ الله عزّ وجلّ وحمايتِه لك أنّه قد يصرفك عن هؤلاء بظرفٍ اجتماعيٍّ أو بظرف عائليٍّ -مثلًا- أو بانشغالٍ معيّنٍ، وهذه التّدابير قد نجهلها ونجهل الخير الذي يكمنُ وراءَها، ولو كُشِفت لنا لذابت قلوبُنا لشدّةِ حبّ الله تعالى لنا وحرصه علينا.

6 أخرجه التّرمذي في سننه، وصحّحه الألباني.

وكلّنا بعرف قصّة الابن الذي قتله الخِضر عندما رافقه موسى عليهما السّلام، ذلك الابنُ الذي لو كبر لأرهقَ والديه طغيانًا وكفرًا، فكان من حِفظ الله تعالى لهذين الوالدين أنْ استبدلَه بابنٍ صالحٍ، وهما لا يعلمان كميّة الخير في موت ولدهما لأنّ ذلك في علم الله وحدِه، لكنّنا مطالبون بإحسانِ الظّنّ بالله تعالى دائمًا والرّضا بقضائِه والثّقة بتسييره للكون.

13.حِفظُ اللهِ تعالى يستوجبُ إعمالَ القلبِ والجوارحِ معًا:

إنّ أعظمَ أنواعِ الحفظ؛ عندما يحفظك الله تعالى وتكون تحت رعايته، ولذلك يقول النّبيّ-عليه الصّلاة والسّلام- لمّا قال له رجل: أوصني، فقال: **"أوصيك أن تستحيَ الله عزّ وجلّ، كما تستحي رجلًا صالحًا من قومِك"**[7].

فالإنسان عندما يكون مع عبدٍ صالحٍ يستحي منه، ولا يخبره ما يحبّ بقيّةُ صحبه، بل على العكس تمامًا فهو يعمدُ إلى أنْ يكون لَبِقًا مُهذَّبًا راقيًا...

"عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "استحيوا من الله حقّ الحياء»، قال: إنّا نستحي والحمدُ لله، قال: «ليسَ ذاك ولكنْ من استحيا من اللهِ حقَّ الحياءِ فليحفظِ الرّأسَ وما وعى، وليحفظِ البطنَ وما حوى، وليذكرِ الموتَ والبلاءَ فمَنْ فعلَ ذلك فقد استحيا من اللهِ حقَّ الحياء"[8].

ومن هنا نستنتج أنّ حِفظَ الله تعالى لا يتأتّى بالتّمنّي، ولا بالإيمان وحده، أو عمل الجوارح وحدها، وإنّما بالإيمان الثّابت بالقلب ودقّة العمل بالجوارح معًا، فيجب أن تجمعَ مع الحياء أعمالًا حقيقيّةً صادقةً؛ كأنْ **(تحفظَ بطنك)** من أكل الحرام، **(وما حوى)كنايةٌ عن الزّنى، (ورأسَك ومصبّاته)**:أي **العينين والأذنين واللّسان**، لأنّ القلبَ لا يُحفَظ إلا بحِفظِ أدواتِ البصر والسّمع والكلام، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئِكَ كانَ عنهُ مسؤولًا**﴾**(الإسراء: 36)**.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**"إنَّ اللهَ ليَعجَبُ من الشّابِّ ليستْ له صَبوةٌ"**[9].

أي: كيف لشابٍّ محفوظٍ بحفظ الله، تلتهب فيه كلُّ مشاعرِ الشّهوات، ومع ذلك لا يلتفتُ إلى الحرام؟

كيف يستطيع تقويةَ نفسِه ولا يفعل ما يفعله الشّبابُ الآخرون؟

---

7 أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد، قال الألباني: إسناد جيد، رجاله ثقات.

8أخرجه البزّار في مسنده، وحسّنه الألباني.

9 أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، وحسّنه الألباني لغيره.

14.حِفظُ اللّه تعالى لكَ يصرفك عن الشّرّ والأذى:

فاللهُ تبارك وتعالى يحفظ سمعَك وبصرَك من أنْ يتلطّخا بما لا يرضيه، ويُهيّئ الأسبابَ لك من حيث لم تحتسب.

سأروي لكم قصّةَ الشّبابِ الأربعةِ في **(تبوك)**؛حيثُ ذهبوا إلى منطقةٍ تبعد ستين كيلو مترًا من تبوك، فأرادوا أن يخوضوا مغامرةً، فنزلوا الأربعةَ في شَقٍّ صخريٍّ يشبه المغارة، ووصلوا إلى القاعِ في وقت الظّهيرة تقريبًا، وجلسوا فيها، واستمعتوا ما شاء الله أن يستمتعوا، وعندما أرادوا الخروجَ فلم يستطيعوا، بسبب الصّخورِ الملساء، إضافةً إلى تفتُّتها بسهولةٍ في كلَّ محاولة، وظلّوا هكذا يحاولون حتّى غروبِ الشّمس، فأوشكوا على الهلاكِ تعبًا وعطشًا وجوعًا، فضلًا عن تواجدهم بمكانٍ مهجورٍ، فلمّا نالَ منهم التّعبُ جلسوا يشكون العطشَ ويتمنّون الماء، وأثناءَ ذلك التفتَ أحدُهم وإذا بقارورةِ ماءٍ موضوعةٍ بجانبهم، فأصابتهم الدّهشة، فلم يرَوها منذ أن نزلوا، وتساءلوا كيف ساقها الله تعالى لهم، يقول أحدهم: **"واللهِ ما فرحْنا بالماءِ قدرَ فرَحنا باستجابةِ اللّه تعالى لنا، فكان منّا أنْ ازددنا دعاءً للّه عزّ وجلّ ليخرجَنا من تلك المغارة، حتّى يسّر الله سبحانه وتعالى لنا الخروج، فقد دخلنا أناسًا، وخرجنا أناسًا آخرين".**

فاللهُ تعالى يوقِعك بمثل تلك الامتحانات ليُخرِج الذّهبَ الذي بداخلك والذي غلّفتْه الدّنيا بزحامِها وانشغالاتِها.

15.لا شيءَ يُغني عن حِفظُ اللّه تعالى لك:

بالفعل؛ إنّ الله عزّ وجلّ إذا أرادَ الحفظَ تحقّقَ ذلك مهما كانت احتمالات النّجاة معدومةً في نظر البشر، فهذا سيّدُنا موسى-عليه السّلام- أوحى الله تعالى إلى أمّه أن تلقيَه في اليمّ بعد أن تضعَه في تابوتٍ، فلم تستطع الأمواجُ العاتيةِ والبحرُ الهائج أن يضرّوه شيئًا أمام حفظ الله الكبير.

والأمر ذاته حصل مع سيّدنا يوسفَ -عليه السّلام- إذ رمَوه إخوتُه في البئرِ المظلمة، فلم يستطع مكرُهم وهم عُصبةٌ أن يفعل شيئًا أمام حفظ الله القويّ، بعد رفضِه كلَّ الإغراءاتِ في بيتِ العزيز، ونجحَ في الامتحان وفضّل دخولَ السّجن على الانسياق وراء الرّغبات، فكافأه الله وجعله وزيرًا على خزائنِ الأرض، فضلًا عن ذلك فقد استودعه أبوه **يعقوب -عليه السّلام-** عندما قال بيقينٍ:﴿فَٱللَّهُ خَيرٌ حَٰفِظا وَهُوَ أَرحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (يوسف: 64).

وبالمقابل فإنّ من لا يحفظْه الله لن ينقذه أيُّ شيء، فابن سيّدنا نوح -عليه السّلام- ظنّ أنّه سينجو بفِطنته واعتماده على ذاته، لكنّه تجاهلَ حقيقةَ أنّه لا عاصمَ من أمر الله إلّا من رحم، وبالتّالي لم يشملْه حفظُ الله فكان من المُغرَقين.

16.حِفظُ الله تعالى قد يكون بدعوةٍ أو بصدقةٍ:

فالله تعالى يحفظ عبادَه بدعائهم لبعضهم البعض، فهذا سيّد الخلقِ يدعو لأمّته، وكان -عليه الصّلاة والسّلام- يدعو في سفره سواءٌ له أو لمن يسافرُ، فعنْ قَزَعَةَ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ هَلُمَّ أُوَدِّعْكَ كَمَا وَدَّعَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ"[10].

فأيُّ عملٍ صالحٍ تسعى إليه سيكون سببًا في حِفظِ الله عزّ وجلّ لك، أو قد يكون نتيجةَ صدقةٍ أُدّيَتْ لك بعد موتك، وأذكرُ لكم في هذا الموضع قصّةً شخصيّةً حصلت مع أمّي -رحمها الله- حيث كانت تجوبُ الأحياء الفقيرة، وتوزّعُ مبلغًا من المال على كلِّ بيتٍ، وكلّما تصدّقتْ دعتِ الله تعالى بأنْ يتقبّلَ منها ومن أبي -الذي تُوُفّيَ قبلها بستِّ سنواتٍ- فيا له من وفاءٍ عظيمٍ بين الزّوجين استمرّ حتّى بعد أن غيّبَ الموتُ أحدهما!

فإذا حَفِظَك الله جلّ في علاه بحفظك في حياتك، وبعد موتك، وحَفِظَ ذريّتك، وسخّرَ لك من الأشخاص من يعملون لك أعمالًا عظيمة.

17.حفظُ الله تعالى عبادَه بالنية الصّالحة:

بَلَغَنا عن **الإمام النّووي** -رحمه الله- أنّ ابن عبّاس -رضي الله عنه- كان يقول فأحيانًا تَبْلُغُ بنيّتك الطيّبة ما لا تبلغه بالعمل الصّالح، ولذلك فإنّ الله تعالى يحفظك بنيّتك حتّى بعد موتك، والشّواهدُ كثيرةٌ على ذلك؛ فكُلُّنا سمع قصّةَ الرّجلِ الذي قتلَ تسعًا وتسعينَ نفسًا، وقد حَفِظَ اللهُ جلَّ جلالُه له نيّته عندما نَصَحَه أحدُ العلماء أن يغادرَ قومه والوسطَ الفاسدَ الذي يعيش فيه، وأنْ يذهبَ إلى قومِ فلانٍ فإنّهم يعبدون الله تعالى، فالعيشُ بينهم سيساعده على الالتزام بالتوبة، فانطلق مُسرعًا ليعبد الله، لكنّ المنيّة وافتْه وهو على الطريق قبل الوصول، فاختصمتْ ملائكة العذاب والرحمة في أمره؛ فقاسوا ما بينهم، فوجدا أنه أقرب للبلاد التي ذهب يتعبّد الله فيها من البلاد التي كان مُجرمًا فيها بشبرٍ واحدٍ، فهذا الرجل غفر الله تعالى له لِمَا احتواه صدره لا بعمله.

10أخرجه أبو داود في مسنده، وصحّحه الألباني.

18.اللّه تعالى يُدافع عن المؤمنين:

قال الحق جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾(الحج:38).

يُفسّر الشيخ السّعدي -رحمه الله- هذه الآية الكريمة فيقول إنّ الله جل جلاله يحفظ عباده الصّالحين من وساوس الشّيطان، ومن هوى الأنفس، ومن سيّئات الأعمال، فيحمل -تبارك وتعالى- عن عباده الصّالحين عند نزول ما لا يتحمّلون من المكاره، ويخفِّف عنهم غايةَ التّخفيف،وإنّ الله عزّ وجلّ يدافع عن الذين آمنوا، فإذا نزل بهم البلاء الشّديد تحمَّل اللّه ُعنهم ذلك، فيجد المؤمنُ في قلبه سكينةً وطمأنينةً لم يعرفْها من قبل.

ويقول**الشّيخ السّعدي** -أيضًا- إنّ لكلِّ مؤمنٍ من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقلٌّ ومستكثرٌ.

وكثيرٌ منّا يدعو الله ألّا يعيشَ لوقتٍ يموت فيه أحدٌ أحبابه لأنّه لن يتحمّلَ تلك الصّدمة، والأمثلةُ كثيرةٌ؛ فقد شهدتُ موقفًا لصديقةِ أمّي، حيث كانت رقيقةَ القلب، ذاتَ عواطفٍ جيّاشة، وكنّا قد سمعنا خبرَ وفاةِ زوجها قبلَها، فلم نعلمْ كيف نخبرُها خبرًا كهذا، فطلبنا من أختي -وكانت طبيبة- أن تحضّرَ أدويةً مهدّئة تحسُّبًا لأيِّ طارئ، فلمّا ذهبنا إلى بيتها اكتشفنا أنّ ابنها قد سبقنا بإخبارها، وأنّها صابرةٌ صامدةٌ شاكرةٌ مطمئنّةٌ، فقد أعانها المُعين على مُصابها، وقالت إنّي أدعو الله له، وأحمَدُ الله تعالى على وقوفه معي ومساندتهِ لي.

فقدرتُك على التّحمّل عند الشّدائد بالتّأكيد من عند الله تبارك وتعالى، وليستْ بحولكَ ولا قوّتك.

.19حفظ اللّه تعالى في الصلاة:

تأمّل قول الحق عز وجل: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ (العنكبوت: 45).

قال **الشّيخ السّعدي** -رحمه الله-: كونُ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فإنّ العبدَ المقيمَ لها المتمّمَ لأركانها وخشوعِها وشروطِها يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانًا، وتقوى رغبته.. لذلك فإنّه من الضّروريّ معالجةُ صلاتِك، والمحافظةُ عليها بوجهٍ تنهاك فيه عن الاقتراب من الفواحش والمنكرات، وهذا من أعظم مقاصد الصّلاة على الإطلاق.

إنّ المُصلّي الحقيقي الذي يقيمُ صلاتَه بعبوديّةٍ تامّةٍ، وبقلب خاشعٍ لربّه، يجب أنْ تنهاه صلاتُه عن الذّنوب والمعاصي، وإلّا فهناك خللٌ فيها يجبُ علاجُه، لأنّك متى ما أقمتَ صلاتَك على النّحو الصّحيح تغمّدَك الله بحفظه العظيم.

أسألُ الله عزّ وجلّأن يحفظني وإيّاكم من بين أيدينا ومن خلفنا،عن أَيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا ومن تحتنا، ونعوذ بك أنْ نُغتَال من تحتنا.

والحمدلله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وأستودعكم الله تعالى الذي لاتضيع ودائعه.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها